شعر الأخطل بين الانتماء القبلّي والديني

م. م . ميادة محمد عبد اللطيف المشهداني .
جامعة ديالى – كلية الزراعة

ملخص البحث

لقد أثرت العصبية القبّلية في شعر الشعراء ، وبالذات شعراء العصر الأموي ، إذ بدأ الإحساس القبلي يعود من جديد ، فيترك أثره في نفوس الشعراء ، فورث هذا العصر عودة العصبيات القبلية الموروثة من العصر الجاهلي ، وهذا ما أخمده الإسلام ، لكن بظهور فن النقائض بدأت المباراة الحقيقية ما بين الشعراء للدفاع عن قبيلتهم ، فذكروا مفاخرها وأمجادها، وذكروا مساوئ خصومها ومثالبهم، فكانت ضروب اللهو والتسلية من الأمور التي شغلت الناس عن الخلافة، فكان الأخطل لسان قومه الناطق المدافع عنهم الحريص على مصالحهم ، فثأر من شعراء عصره ، وهاجم كل من أضمر العداوة لقبيلته تغلب، فأشتهر بسعيه لإصلاح ذات البين ، وحقن الدماء بين أبناء قومه، فتكفل بالديّات، وفتح داراً للضيافة ، فأصبح سيداً في قومه وزعيماً ومصلحاً ، فظل أميناً على قبيلته تغلب وعلى بداوتها وفطرتها مؤكداً على مسيحيتها، معتزاً بآبائه اعتزازاً شديداً، ملتصقاً بقبيلته فتقرب من الخلافة والسلطان لضمان حماية قومه وقبيلته من الجور والظلم ، فانتزع الأخطل

لقب (شاعر أمير المؤمنين)أو (شاعر بني أمية) وبذلك حقق أحلامه في ضمان الحماية الكافية التي طالما تمناها لقومه، فأصبح صوتها الناطق في كل مكان.

Akhtal poetry between tribal affiliation religious

[key word] : tribal affiliation

Researchers:
Assistant lecturer : Mayyadah Mohammed AbdulAteef
Specialization : Islamic literature

Abstract

Tribalism has influenced poets in the poetry, IT began of tribal back again ,IT would leave its impact on the hearts of poets ,Forth this ear enmity partisanship tribe inherited from the pre – Islamic era ,This is Islam okhmayor ,But the emergence of the art of opposites real game started between poets to defend their tribe ,They cited Mfajrha and laurels ,They mentioned disadvantages of opponents and Mthalbhm ,It was cruel amusement and entertainmen of the things that preoccupied people for succession, It was Akhtal tongue of his people on their defender, who is keen on the interests spokesman, Railed from The poets of his time ,He attacked both Odmr hostility to overcome his tribe ,Nickname, by seeking to reconcile ,The bloodshed between the sons of his people , Ensuring that the Baldiat ,The open house hospitality , He become a master in his people and his leader and reformer , Thus allowing faithful to his tribe and to overcome Bdautha and Aftrtha stressing

christatha , Vtqrb of succession and authority to ensure the protection of his tribe and his people from the oppression and injustice, vantzaa Akhtal the title of com–

of the faithful poet or a poet of the Umayyad , Thus achieved his mander to ensure adequate protection that have long wished for his became spokesman everywhere voice dreams people , Her

المقدمـــة

احمد الله حمد الشاكرين، وأصلي واسلم على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)وعلى آله وأصحابه، وبعد....

فقد أوجدت العصبية القبلية متنفساً بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)،ثم أسفرت عن وجهها في الصراع الذي دار بين الأمام علي (كرم الله وجه) والخليفة معاوية، وفي موقعة صفين أخذت القبائل العربية يُحارب بعضها بعضاً ، وبدأ الإحساس القبلي يسفر عن وجهه، مما أذكى في نفوس أهلها ما أخمده الإسلام من حياة الجاهلية، حتى أصبحت العصبيات تمثل حياة القوم الاجتماعية ، فورث العصر الأموي هذه العداوة ، وعمل خلفاؤه على استغلالها في دعم حكمهم أو ملكهم، ولو بالجور على الدين وبث الفرقة بين المسلمين، فبدأت حياة المسلمين تتأثر بعوامل فيها عناصر جاهلية وأخرى إسلامية وكلها تتسم بسمة واحدة هي ملائمتها للسياسة القائمة والعصبيات القبلية تزداد قوة تصل بها إلى ذروة الجاهلية . وجاء اختياري لهذا الموضوع نظراً لأهميته وتأثيره على حياة المجتمعات آنذاك ، ولما له من تأثير كبير على نتاج الشعراء، وكان الأخطل من الشعراء الذين أثاروا اهتمامي، فبدأت رحلة البحث في ديوانه وأشعاره باحثه عن الحس، والانتماء القبلي، وروح العصبية في أشعاره. فاقتضت مادة البحث : مقدمة وتمهيد، ومبحثين إذ تضمن المبحث الأول : البيئة

القبلية وأثرها في حياة الأخطل، والثاني: الدين والعصبية القبلية وأثرهما في نتاج الموضوعات الشعرية، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، والله نسأل التوفيق والسداد..

التمهيد

الأسباب الاقتصادية والدوافع السياسية وأثرهما في شعر الأخطل أنّ من أهم الأسباب التي كانت وراء اشتعال نار الخصومة بين قبيلتي قيس وتغلب هما :

أولاً- الأسباب الاقتصادية :

أن قيس كانت تنزل في الإسلام في نجد وبوادي الحجاز وتمتد شرقا حتى تشرف على منازل تميم وبكر، أما تغلب فكانت تنزل في الموصل وتمتد بطونها وعشائرها من الحيرة وشواطئ الفرات إلى بادية الشام ، ولما جاء الإسلام خرجت قبائل قيس للجهاد والفتح، فنزل كثير منها في الشام وامتدت بعض فروعها إلى منازل تغلب في الموصل وحوض الفرات، فتزاحمت قيس وتغلب في المنازل وتضاربا على العيش والمكان، ومعنى ذلك أنهما كانا على طرفي نقيض في مصالحهما الاقتصادية كما كانا على نقيض في مصالحهما السياسية، وأن الجانب الاقتصادي هو الذي جعل تغلب تنتهز الفرصة في موقعة مرج وراه وتنضم إلى القبائل اليمنية ضد قيس، حتى تُخرجَها من ديارها إذا دارت عليها الدوائر وفعلاً دارت الدوائر على قيس في هذه الموقعة، وعانت من جرائها كارثة شديدة، لم تتعود عليها من قبل، فرجعت إلى نفسها، فقررت أن تُنظم غارات ومواقع للانتقام من تغلب وموقفها من موقعة مرج راهط ، فتجمعت جماهيرها في الموصل بقيادة زُفَر بن الحارث الكلابي (١)، وإمرة عُمَير بن الحُباب الُسلَمى ومعه جماعة من بني حُرَيْش

على قتوم من بني تغلب ظلماً وعدواناً، فانتقمت تغلب لنفسها بقيادة شُعْيث بن مليك التغلبي، بالإغارة على بني الحُريش القيسيين، وقوم من نُميْر، فقتل فيهم التغلبيون، ذَوْداً عن امرأة منهم يقال لها أم الهيثم، فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم (٢).قال الأخطل (من الطويل)، مخاطباً القيسيين، ذاكراً شجاعة قومه واستبسالهم في الدفاع عن حرمات قومهم ومنها (أم الهيثم) :

وانْ تسألونا بالحريش فإننا مُنينا بنوكٍ منهم وفجور
غداة تحامتنا الحريش، كأنها كلاب بدتْ أنيابها لِهرير
وجاؤو الجميع ناصر أمّ هيثمٍ فما رجعوا من دودها بعير
فما رجعوا من ذَوْدها ببعير وجاءوا بجمع ناصري أم هيثم
إذا ذكرت أنيابها أم هيثم رغت جيْئلٌ مخطومة بضفير(٣)

فلما استحكم الشر بين قيس وتغلب ، وعلى قيس عُمير بن الحُباب ، وعلى تغلب شعيث، غزا عُمير بني تغلب فقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت هذه أول وقعة لهم بماكسين من الخابور فقتل من بني تغلب خمسمائة ، ومنهم شعيث قَاتل حتى قُتل ، وكانت رجله قد قطعت، فتبادلت الغارات والخصومة بين القبيلتين. (٤)

ثانياً: الدوافع السياسية : لقد انتهزت تغلب فرصة العداوة السياسية المتأججة بين قيس والأمويين، فانضمت إلى أعداء قيس ، نكاية بهم ، وكانت هذه العداوة من أهم الدوافع التي دفعت الأخطل _ شاعر تغلب _ في مهاجاة جرير الذي كان موالياً للقيسيين وشاعر قيس المناضل عنها ، مع أنه تميمي، فكانت المهاجاة بين كل منهما تحملُ في كثير من جوانبها تأريخ العداوة بين قيس وتغلب من ناحية ، والعلاقة بين كل منهما وبين الأمويين من ناحية أخرى ، وتفسر انتصار الأخطل للفرزدق ضد جرير في مهاجاتهما ، ودخوله بين

هذين الفحلين التميمين (٥)، لاسيما أن عبد الملك بن مروان كان يُقدم الأخطل ، ويّعده شاعر أمير المؤمنين ، لإشادته بفضل الأمويين وموقف قومه القيسيين ، كما أن تغلب ترى أن حلفها مع الأمويين يعود إلى صالحها ومنفعتها ، لذلك عندما أتصل بشر بن مروان_ وكانت أمه قيسية _ إلى الصلح مابين قيس وبني أمية ، غضب الأخطل وتوعد الخليفة،وحذره من القيسية ، خشية أن تُذل تغلب بفقدها حماية الأمويين ، فتُهمل أمام وحدة قيس وأمية (٦) .ويروي ابن سلام (ت٢٣١ه) أنه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لأبنه مالك:((انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتيني بخبرهما. قال: فلقيهما، ثم استمع ، فأتى أباه، فقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل فجرير أشعرهما))(٧). ويروي ابن سلام في موضع آخر ((اجتمع الفرزدق و وجرير والفرزدق عند بشر بن مروان، وكان يُغرى بين الشعراء ، فقال للأخطل : احكم بين الفرزدق وجرير ، قال : أعفني أيها الأمير! قال: احكم [بينهما] ، فاستعفاه بجهده ، فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشؤوم ، الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر)) (٨) فلم يرضىَ جرير بذلك فاستطار الهجاء بينهما .ولا يمكن الجزم من أن هذه الحادثة هي كل الأسباب وراء تهاجي جرير والأخطل بل هناك سبب أعمق في موقف الشاعرين من الخصومات القبلية، فكان جرير في صف قيس ولسانها الناطق في المربد وكان الأخطل لسان قومه أيضا فكانت النقائض الطريفة بين الأخطل التغلبي المسيحي وبين جرير القيسي المسلم ، والملاحظ في هذه النقائض الشاعر لايُعَبر عن نفسه كما

في القصائد القديمة (المعلقات) بل يعبر عن قبيلته فيذكر مفاخرها وأمجادها ثم يعدد مساوئ خصومها ومثالبهم (٩). وبما أن العصر الأموي شهد بعضاً من الاضطرابات السياسية والاقتصادية والفكرية

والأدبية، وتأثُّر الحالة السياسية بالمفاهيم الإسلامية نوعاً ما، إلا أن مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)آذن بظهور الفرق وبعض المذاهب السياسية؛ فانشقت العصا بمقتله وتفرقت بالمسلمين السُبُل، فاستعرت نار الفتن وهذا ما حرك الشعر في نفوسهم، فاتسعت مذاهبهم ، فكانوا بين راثٍ لهالك ، وهاجٍ لعدو ، ومتحمس في قتال ومدافع عن مذهب، ومظاهر لطائفة، وسلكوا بالشعر في ذلك الوقت مسلك هذه الأيام في الصحف في نشر الآراء السياسية والدفاع عنها ، وكان من الشعراء من هو موالٍ للعلويين والبعض الأخر للأمويين والخوارج (١٠).وبعد تَنَازل الحسن (عليه السلام) عن الخلافة إلى الأمويون بعد مقتل أبيه الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تولى الأمويين الحكم لأكثر من تسعين سنة ما بين(٤١ه-١٣٢هـ) بدءاً بمعاوية سنة(٤١هـ) فعهد بالولاية بعد ذلك لأبنه يزيد وانتهت بمروان بن محمد وكانت نهاية الدولة الأموية (١٣٢ه) (١١) ، أظهر بني أُمَية في مدة حكمهم مدى حبهم وتعلقهم بالعروبة محافظين على النزعة القبلية، ففصلوا الدين عن السياسة، فكان كل همهم حفظ الملك وجعله متوارثاً لأبنائهم(١٢). فساسوا الناس بالتفريق وأحياء العصبية القبليّة من جديد، وأوقدوا نار التنافس بين الشعراء، فجادوا بالعطاء، فأذاق الشعراء بعضهم بأس بعض من مدح وفخر وهجاء ولها الناس في خلافتهم ، وحلَّ المَربدَ في الإسلام مكان عُكاظ في الجاهلية ، فجعلوا ذلك في الشام والعراق(١٣)، فكان لهذا الأمر الدافع الكبير والمهم للحراك السياسي في المجتمع العربي، وهذا أثر أيضاً في الحركة الشعرية بوصفها الوسيلة الإعلامية الأكثر تأثيراً أو بقاءً للأفراد أو الجماعات(١٤) ، فهذه السياسة التي تبعها بنو أمية إيذاناً برفع سوط الإسلام عن العصبية، وكسر

القيود التي فرضها الإسلام من قبل، ولم يكن الشعراء بدعاً بين قومهم، بل كانوا صورة منهم ، فخضعوا للعصبيات، وهذا ما شهدته أشعار من السنة ناطقة معبرة عن الثأر القبلي كما كان لآبائهم وأجدادهم فكان لشاعرنا حصة من هذا التعصب، فبدأ الأخطل يصدح القول دفاعاً عن قبيلته تغلب فكان العراق ميداناً للتهاجي وبذلك يقول شوقي ضيف فالشعر الذي وجد في العراق لعصر بني أمية ، إما شعر سياسي وإما قبلي (١٥). فكاد العراق أن يستقل بأكثر الشعر الأموي.

(المبحث الأول)

*البيئة القبليّة وأثرها في حياة الأخطل : يرجع نسب الأخطل إلى قبيلة تغلب كما ذكرناها آنفاً ، وهي من إحدى قبائل ربيعة المشهورة وقد قيل إن تغلب هو لقب مأخوذ من دثّار بن وائل ، لان أباه تمنّى له أن يغلب ، فلقب بهذا اللقب، وقد حفل تاريخ تغلب في الجاهلية بالبطولات والأمجاد (١٦) ، ولما ظهر نور

الإسلام قدم وفد من تغلب إلى المدينة، فأسلم بعضهم على يد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وبقي بعض على دين النصرانية (١٧) ، وتغلب على الرغم من نصرانيتها ألا انها قبيلة عربية أصيلة عاشت بين قبائل أكثرها يعتنق الإسلام، فكان لابد أن تتمازج تلك الثقافات فيما بينها، فالأخطل الشاعر النصراني الذي تشرب من تقاليد المجتمع النصراني الذي امتزجت ثقافته العربية بلغة القرآن ، وعُرف بلغته الصحراوية الجهيرة التي حَمَلت معها طابع البداوة (١٨) ، أستطاع بذكائه وجرأته ونشاطه ولسانه، أن يتخطى واقعه المرير الذي كان يعاني منه في طفولته ، فأصبح سيداً في تغلب، وزعيماً ومصلحاً ، أذ يتكفّل بالديّات، ويتحمّل الحمالات ، لحقن الدماء ، فأشتهر بسعيه لإصلاح ذات البين ، ولم يقتصر ذلك

على قبيلته فقط ، وإنما تعدّاها إلى غيرها ، حتى قيل في الروايات أن قبيلة بكر بن وائل كانت إذا تشاجرت في شيء رضيت بالأخطل حَكماً ، فإذا دخل المسجد قدموا إليه ليفصل بينهما. وعلى الرغم من أصلاحه بين المتشاجرين ونجاحه في ذلك أحياناً ، ألا إنه اخفق في مساعيه أحياناً أخرى (١٩) . ومن أهم مظاهر زعامته لقبيلته، هو اتخاذه داراً للضيافة ، ليّحل فيه ضيوف قومه وقد نزل فيها عكرمة الفَيّاض ، ونزل فيها الفرزدق أيضاً، فنادى قومه، وقال: هذا الفرزدق ، فجمعوا له أبلاً كثيرة (٢٠) . فسمة البداوة وتأثره بالبيئة القبيلة واضحة جداً في حياة الأخطل فأصبح الأخطل سفيراً لقومه لدى الخلافة الأموية، يقضي حاجاتهم يحل مشاكلهم ، يكيد لأعدائهم، فيثأر لقومه، إذ كان غيّاث شاعر قومه وسيّدهم ، حامي قبيلته ولسانها في كلّ ميدان،هاجياً لكل من يتحداها، ولا ننسى حرب البسوس التي فتقت ثغرة كبيرة بين شطري وائل ، ومزقت كل صلة القرابى بينت بكر ووائل ، فحملت معها الأضغان والأحقاد ، فبدأ الأخطل هاجياً بكراً مفتخرا بقبيلته تغلب على الرغم من ألمه لما حلَّ ما بين القبيلتين الشقيقتين (٢١) ،إذ كان شديد الالتصاق بقبيلته، وبما تمثله، فظل أميناً على بدواتها وفطرتها، مؤكداً على مسيحيتها حين حاربت القيسيين (٢٢) ، قال في ذلك (من الرجز):

لما رَأوْنا والصَّليب طالعاً ومارَسرْجيسَ وسُمّاً ناقِعاً
والبيضَ في أكُفّنا القوّاطعا خلوا لنا رادان والمزّارعا
وبَلْداً بَعْدَ ضِناكِاً واسِعا وحِنطةً طيساً ، وكرْماً يانِعَاً
ونّعماً لا باً وشاءً راتعاً أصبْحَ جَمْعُ الحيّ قيْسٍ شاسعاً

كأنما كان غُراباً واقعاً(٢٣)الأخطل من قبيلة غنية بمفاخرها وأمجادها، ثرية ببطولاتها وأيامها، عظيمة بتقاليدها ومراسمها، منها انحدر الأخطل ،

وعلى ثرى أرضها ترعرع ، وتحت سمائها استظل وعاش، تلك القبيلة هي قبيلة تغلب أعظم قبائل ربيعة شأناً في الجاهلية والمع أسماً في الإسلام، وكان بنو تغلب مع بني عمومتهم من ربيعة، وقد نزلوا هضاب نجد والحجاز ثم ارتحلوا عنها واستقر بهم المقام في الجزيرة الفراتية المعروفة بديار ربيعة، ومن ثم تفرقوا ثلاث شعب أقامت إحداهما في الصحراء، والثانية في الموصل بينما أقامت الثالثة في حلب (٢٤)، وقد أفاد الأخطل كثيراً من تراث قومه في الجاهلية ، أفاد من أيامهم ومواقعهم فاتخذ منها مادة الفخر، وأفاد من شعرائهم ، فاستقى من شعرهم لفنه ، ويبدي إعجابه بشعر عمرو بن كلثوم، حتى كان ينشد معلقته بين يدي الوليد بن عبد الملك في السنوات الأخيرة من حياته(٢٥). وعُرف عن غياث بإنه خَرج على أحكام النصرانية في موضوع العفاف وحدود الزواج ، فهو يكثر من التردّد على دور القيان والفاجرات، ولاعَجب أن يكون للأخطل أكثر من زوجة، وهو العربي الذي قضى أكثر عمره في البادية ،فتشرب من أخلاقها وتقاليدها ، وما أكثر ما يفعله البداة ويتعصبون له ،مع أنه يخالف أديانهم وتقاليدهم (٢٦)، وترتبط ثقافة الأخطل بنشأته الدينية أولاً ، فقد أتاح له دينه أن يطلع على التوراة والإنجيل ،أما المصدر الثاني فيتمثل بالنشأة البدوية التي نشأها فنهل من أخلاق أهل البادية وحفظ من أشعار الجاهليين واطلع على أيام العرب ومواقفهم وتقاليدهم ، وكان يعينه في فهم واستيعاب ما يسمعه، قوة حافظة ، وشدة ملاحظة (٢٧).وهكذا انحدر الأخطل من قبيلة عريقة بأصلها كريمة في مآثرها وأمجادها ، عظيمة في شأنها، مما جعل لها في التاريخ مكاناً وموضعاً.

المبحث الثاني

الدين والعصبية القبيلة وأثرهما في نتاج الموضوعات الشعرية : نلاحظ أن الطابع العام الذي برز في الشعر القبّلي في عصر بني أُميّة ، هو طابع

جاهلي وهو امتداد للتقاليد الأدبية الموروثة في شعر العصبيات القبلية الجاهلية ، فكان الشعراء يتخذون من الشعر الجاهلي أنموذجا يحتذونه ، ويقتفون أثره ، ويمدون أبصارهم إليه،ويسيرون على ضوئه، في أغراضه ومعانيه ، حتى بات تأثير التعصب والانتماء القبّلي في شعرهم ، فضلاً عن تنوع أغراض الشعر القبّلي الأموي ، فقد شغل الشعراء بقضايا قوم والإشادة بمناقبهم ، ومثالب أعدائهم، من الانتصارات والهزائم , والأيام، والأنساب، وكل ما كان للشرف والبطولة والمجد القبلييّن في العصرين الجاهلي والأموي، من حيث الفخر إيجاباً والهجاء سلباً (٢٨) ، ولم يخلو شعر الأخطل من هذه الأغراض ومنها :

المدح :أكثر الأخطل من مدح بني أمية ، وتألق نجمه في بلاطهم ، فكان صديقاً ومنادماً الشربَّ ليزيد بن معاوية، وتوثقت الصداقة بينه وبين عبد الملك بن مروان فلقبهُ بـ (شاعر أمير المؤمنين)(٢٩)فانشده قصيدته التي يقول فيها (من البسيط)

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقَادَ لهُمْ وأعْظَمُ النّاس أحلاماً إذا قَدروُا(٣٠)

فطرب عبد الملك لذلك ، ثم قال: إنّ لكلّ قومٍ شاعراً ، وإنّ شاعر بني أميّة الأخطل ، أن الأخطل في مديحه لا يقل براعة ومهارة عن الفرزدق وجرير ، بل لاشك في أنه يتقدم أولهما إذ كانت نفسه غليظة ، وكان يعتز بآبائه اعتزازاً شديداً ، بل يبرع في المديح كما برع في الفخر، وكان الأخطل شغوفاً بالخمر شغفاً شديداً(٣١) ،أذ عَمَد إلى إنشاء القصائد الطوال التي استفتحها بذكر الخمر ثم انتهى بها إلى مدح الخليفة ، وهذا الأمر لم يستطع كل من جرير والفرزدق أنّ يقدما عليه لإسلامهما،على عكس الأخطل الذي أباحت له ديانته النصرانية شرب الخمر وإكثار القول فيها (٣٢)، قال (من الوافر):

ولسْت بصائم رمضان طَوْعاً ولسْتَ بآكل لحْمَ الآضاحي

ولستَ بقائمٍ كا الغير يدعو لدى الاصباح حيّ على الفلاح
ولكني سأشرَبُها شُمولاً وأسْجُدُ عِنْدَ مُنبلَجِ الصَّباحِ (٣٣)

هنا يعكس لنا الأخطل مدى استهتاره وتمرده في بعض الأحيان، وبين شهوته وتباهيه بدينه أحياناً أخرى، وهذا ما ذكره في حديث له مع عبد الملك بن مروان في إنها هي التي تمنعه من إعلان إسلامه، حتى قويت دالته عند الخليفة فدخل عليه يوماً والصليب على صدره والخمْرَ يَرْفضُّ من لحيته متباهياً بشرب الخمر(٣٤) ، وهذا ما أباحت له ديانته فلا حرج في ذلك .أن عنصر الدين هو عنصر جديد ألح عليه جرير في نقائضه مع الأخطل ، فوقف الأخطل مكتوف اليدين لا يستطيع جدلاً، وكذلك عنصر الخمريات ذلك الفن الذي جرؤ عليه شاعرنا دون زميليه وكان تلميذ الأعشى فيه وأستاذ أبي نؤاس ومدرسته (٣٥) ، ولعله الوحيد الذي استهل قصيدة المدح بالخمريات، ومنها (خف القطين) التي لم تقدم صلة الشاعر بعبد الملك بن مروان وإنما قدمت عالماً قبّلياً تغلب عليه المسيحية وانحياز قبيلة الأخطل إلى ما يمثله النظام الأموي (٣٦) ، قال في ذلك (من البسيط) :

خف القطين ، فراحوا منك أو بكروا وازعجتهم نوى ، في صرفها غير(٣٧)

ويُذكر في أخباره أيضاً أنه حَلَفَ باللاَّت والعُزَّى استخفافاً بدينه(٣٨) ، هذا من جهة ، اما من جهة أخرى فأن في أخباره وأشعاره ما يدل على انصياعه لدينه ، أذ يَتَمسّح بالقساوسة تبركا، وكانوا إذا انزلوا به عقاباً خضع لهم واستكان ، فيذكر الصليب في ديوانه، كما يذكر قديس قبيتلة مارسرجيس،ويُقسم بالمسيح ، والرهبان (٣٩).، وجاء في أخباره هو ما حدثنا به ابو عبد الملك ، ((رأيته بالجزيرة وقد شُكي إلى القَسّ، وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفَرْخ، فقلت له :أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا بن أخي ، إذا جاء الدَّين

ذَلَلنا)) (٤٠)، ويذكر في رواية أخرى في أن القس حبسه لأنه كان يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فعاقبه لذلك ، ويحذره أن لا يعود للشتم والقذف مرة أخرى ، فيجيبه الأخطل لستَ بعائد ؟، ولا أفعل ، فقيل له : يا أبا مالك ، الناس يهابونك، والخليفة يُكرمك وقدرك بين الناس قدر، وانت تخضع للقس هذا الخضوع ، فقال:أنه الدين، أنه الدين(٤١).

قال (من الطويل) مادحاً الخليفة،هاجياً قيس عيلان وجريراً، مستغلاً الصراع الذي دار في مرج راهط حول الخلافة وبعده :

لعمري ، لقد أسريت لا ليل عاجز بساهمة الخدين ، طاوية القرب (٤٢)

وبعد رحلة الأخطل وانتزاعه لقب شاعر بني أمية ، استطاع وبعد لقبه الجديد ، أن يمتدح الوليد بن عبد الملك في خلافة أبيه ، ذلك الأمير الشاب ذي النسب الرفيع ، فشكا اليه ما نزل بقبيلته من وطأة الضرائب والغرامات الثقيلة، قال (من الوافر):

وحاجلة العيون، طوى قواها شهاب الصيف، والسفر الشديد

طلبن ابن الأمام ، فتى قري بحمص ، وحمص غائرة ، بعي

نماك الى الرباء فحول صدق وجد ، قصرت عنه الجدود

وزندك من زناد واريات إذا لم يحمد الزند ، الصلود

وإنا معشر نابت علينا غرامات ، ومعضلة ، كؤود

وعض الدهر والأيام ، حتى تغير بعدك الشعر ، الجديد(٤٣)

قال الأخطل (من البسيط) مخاطباً بني أمية ناصحاً لهم :

بني أُميّة ، قدْ نَاضَلْتُ دونكُمُ أبناءَ قوْمٍ هُمُ آووا وهُمْ نَصَرا

بني أُميّة ، إنّي ناصِحٌ لَكمُ فلا يَبيتَنَّ فيكُمْ آمِناً زُفَرُ(٤٤)

الهجاء : بدأ اتصال الأخطل بالدولة الأموية عندما شبّب عبد الرحمن بن حسان الأنصاري برملة بنت معاوية، وهذا ما أثار غضب يزيد ، فسأل كعب بن جُعيل أن يهجو الأنصار، فأماله إلى الأخطل فطلب

الأنصار معاقبة الأخطل، فحماه يزيد ، فهدد الأنصار معاوية ، فدافع الأخطل عن الأمويين وصار لسانهم المدافع عن مصالحهم لا سيما أن هذه المصالح تنسجم مع مصالح قومه(٤٥)، فاستهل الأخطل حياته السياسيّة بهجائه الأنصار، إذ قال(من الطويل) :

ذهَبَتْ قُرَيْشَ بالمَكَارِمِ كُلِّها واللُّؤْمُ تَحتَ عَمائِمِ الأَنْصار (٤٦)

((كان ممَّا يُقَدِّم الأخطل أنه كان أخبثهم هجاءً في عَفَافٍ عن الفحش ، قال الأخطل : ما هجوت أحداً قطَّ بما تستحي العذراء أُن تُنْشِده أياها))(٤٧) ، قال (من البسيط) ، هاجياً القيسين وأحلافهم :

فلا هدى اللهُ قَيساً مِن ضَلالَتِهِمْ ولا لَعاً لِبَني ذَكْوانّ ، إذْ عَثَروا (٤٨)

وقال (من الطويل) ، هاجياً قيس عيلان وجريرا ، ومادحاً الخليفة ، مفتخراً ببلاء تغلب في نصرة الدولة :

ألا يا اسْلمى ، يا هندُ هندُ بني بدر وإن كان حياناً عدى،آخر الدهر (٤٩)

وقال الأخطل ، (من البسيط) يهجو جريراً وقومه، مفتخراً بقومه ، هازئاً من بخل قوم جرير وحلفائهم مقذعاً، ناسباً إليها الفسق والفجور:

ما زال فينا رباط الخيل معلمة وفي كليب رباطُ الذلّ والعارُ

قومٌ أذا استنبح الأضياف كلبهُم قالوا لأمهم بولي على النار(٥٠)

اصطبغ هجاء الأخطل لخصمه بصبغة السياسة الفردية والسياسة القبلية ، والسياسة الأموية (٥١). ومن لغة الشعر القبّلي ، هي تلك اللغة الرصينة ، التي تتأرجح بين صلابة العبارة ومستوى الوضوح والموصوفة بالجزالة كلغة الشعر الجاهلي ، يمكن ملاحظة هذه الجزالة في شعر السياسة من هذا العصر إذ نجد العبارة تتسم بالسهولة والوضوح ، وتقل فيها الجزالة التي نلاحظها في الشعر القبّلي، بل أننا نلاحظ اختلاف مستوى الجزالة في شعر الشاعر الواحد بين هذين الفنيين ، فشعر الطرماح في السياسة،أقل جزالة من شعره القبلي ، وهذا ما يقف عنده كل من قرأ ديوانه ، وقل مثل ذلك في

شـــعر الأخطل وجـــرير والفرزق،هذه اللغة الرصينة الطابع العام لشعر الأخطل القبّـــلي، وهذا ما وجـــدناه في شـــعـــره عند هجائه قـــيس(٥٢)، قـــــال(من الطويل)

وقد سرني من قيس عيلان ، انني رأيتُ بني العجلان سادوا بني بـــدر
وقد غبر العجلان حينا، اذا بـــكى على الـــزاد، ألقته الوليدة في الكسر
فيصبح كالخـــفاش، يدلـــك عينـــه فقبح من وجـــه لئيـــم، ومن حجـــر(٥٣)

وقال (من الكامل) :

إن السيوف غدوها ورواحها تركت هوازن مثل قرن الأعصب (٥٤)

وقال أيضا(من الوافر): أبى الأضْغانَ والنّسَبُ البعـــيدُ إذا ما
قُلْتَ قَد صالحتَ بَكـــراً وايـــامٌ لنـــا ولـــهم طـــوالُ بَعـــضَّ الهـــامُ
فيهـــنَّ الحـــديدُ هما أخـــوانِ يصْطَلِـــيان ناراً رِداءُ المـــوت بَيْنَهما
جـــديدُ (٥٥)

الفخـــر :

يقول الأخطل(من البسيط) مفتخراً بمناصرة الأمويين :

وقد نصرتُ أميرَ المؤمنين بنـــا لما أتاك ببطن الغـــوطة الخـــبر
يعرفرنك رأس أبن الحباب ، وقد أضحى ، وللسيف في خيشومة أثرُ(٥٦)

ويردَّ الأخطـــل على جـــرير عندما هجـــاه معيـــراً أياه بصغر قـــومه كونـــهم يدفعـــون الجزيـــة للمســـلمين : لا أبالي والله أن لا يكون لي ، فـــــتحٌ ، والصليّبَ، لي القـــول (٥٧)، ثم قـــال له مفاخـــراً بقومه (من الطويل):

)٥٨(وحَيْثُ ترى القُرقُورَ في الماء يَسْبَح وإنَّ لَنا بَرَّ العراق وبَحْرَه

ويقول أيضاً(من الطويل) مفتخراً بقومه ويؤثر قوم الفرزدق الدارميـــين علـــى جرير

ما لكَ عزٌّ التّغلْبـــيّ الذي بَنى لهُ اللهُ في شُمّ الجـــبال الحَوارِكِ
ومالكَ ما يَبنْي لُجَيْمٌ ، أذا ابتَنْى عَلى عَمَدٍ فيها طِـــوالِ المَسامَكِ (٥٩)

لقد ظهرت النقائض تحت تأثير الحياة العقلية الجديدة وحاجة الجماعة العربية في البصرة والكوفة(٦٠)،

فظهرت ضروب اللهو والتسلية ، ومما لا شك فيه أن نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل لم تحدث مذهباً جديداً في الشعر له رسومه وتقاليده وإنما المذهب القديم (مذهب الصنعة) الذي رأيناه في العصر الجاهلي ورعاه خير رعاية(٦١) ، وعلى الرغم من التقليدية التي غلبت على الشعر القبّلي في العصر الأموي، لكننا لا نتجاهل من أن هذا الشعر حافظ على كثير من فصاحة اللغة، وتراكيبها القوية الجزلة ، والتي حاكت عصر العربية في عنفوان فصاحتها كما في الشعرالجاهلي ، والذي ساعد في إثراء الشعر، وكثرة الشعراء في العصر الأموي (٦٢) ، ومنهم الأخطل الذي أبدع في المدح والوصف والغزل ، والنصح ، والهجاء ، فانطلق بفخره ونصائحه إلى الخلافة وأهلها ليتمكن من توطيد مكانة قومه لديهم ، ساخراً مرة وهاجياً مرة أخرى ، فسعى جلّ جهده أن يصل بقومه إلى طوق النجاة ، فغلبت على مدائحه وأهاجيه صفة السياسة ، فيدس في مدائحه رأيه السياسي لأجل مصلحة قبيلته تغلب (٦٣)

النتائج والتوصيات

بعد الانتهاء من بحثي هذا أحمد الله الذي دلّ على وُجُوده بجُوده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مَنَار الحق وعَمُوده، وعلى آله وصحبه القائمين بالحق من بَعْده.

فالمجتمع الأموي ورث قيماً ومفاهيماً إنسانية قديمة عن مجتمع وثني تسوده الأيام والعصبيات القبلية؛ فجاءت الموضوعات التي تتحدث عن الأيام والأمجاد والمفاخر ، فأخذ الأثر القبلي ابعاداً عميقة في شعر الشعراء ومنهم الأخطل النصراني ، فتوصل البحث إلى أهم النتائج الآتية :

١-لقد كانت الأسباب الاقتصادية هي نقطة الخلاف بين قيس وتغلب وتضارب مصالحهما ، وهذا ما أجج نار الاحتدام بينهما .

٢-أفادت تغلب من العداوة السياسية المتأججة بين قيس والأمويين ، فانضمت إلى أعداء قيس، نكاية فيهم ، وكانت هذه العداوة من أهم الدوافع التي دفعت الأخطل شاعر تغلب إلى مهاجاة الشعراء ومنهم جرير.

٣-أن شاعر(النقائض) في العصر الأموي لايُعبر عن نفسه كما في القصائد القديمة ؛ بل عبر عن روح القبيلة ومفاخرها وأمجادها، وأظهار مساوئ خصومها ومثالبهم .

٤-أن السياسة التي تبعها بني أميّة في حكمهم ساعدت في أحياء العصبية القبلية من جديد ، فأوقدوا نار التنافس بين الشعراء.

٥-استطاع الأخطل بذكائه ونشاطه ولسانه ، أن يتخطى واقعه المرير ، فأصبح سيداً في قومه وزعيماً، ومصلحاً، ومدافعاً عن مصالح قبيلته تغلب .

٦-لم يخرج الأخطل عن بيئته البدوية ، إذ تحمل الديّات ، وإكرام الضيف ، إذ عرف بنشأته العربية وبلغته الصحراوية الجهيرة التي حملت طابع البداوة.

٧- على الرغم من تحلل الأخطل في موضوع العفاف ألا أنه لم يتحلل من النشأة البدوية التي تربى عليها،

وترتبط ثقافة الشاعر بنشأته الدينية أولاً، وقد أتاح له دينه الاطلاع على التوراة والإنجيل، أما المصدر الثاني فيتمثل بالنشأة البدوية التي نشأها فنهل من أخلاق البادية وحفظ من أشعار الجاهليين وأطلع على أيام العرب ومواقفهم وتقاليدهم .

٨- استطاع الأخطل أن يتقرب للخلافة الأموية ، فأصبح شاعر بني أميّة، فتألق نجمه في بلاطهم ، فبرع في المدح والوصف والغزل والنصح والهجاء ،

فانطلق بفخره ونصائحه لتوطيد مكانة قومه لديهم ، كل ذلك من أجل مصلحة قبيلته تغلب.

الهوامش والتعليقات

(١) ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي : ١٦٧.

(٢) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٤٣.

(٣) ديوانه : ٥٧، الحريش: قبيلة كعب بن ربيعة بن صعصعة ، أم الهيثم : أمرأة من بني الحريش أستاق التغلبيون ذوداً لها ، الجَبَأل : الضبع .

(٤) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٤٣.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي (شوقي ضيف): ٢٦٢، دخل الأخطل بين جرير والفرزدق وقد أسن ونفذ أكثر عمره * ينظر : الأغاني ج٨ : ٤.

(٦) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٤٣- ٢٤٤.

(٧) طبقات فحول الشعراء : ٤٥١.

(٨) المصدر نفسه : ٤٧٤.

(٩) ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي : ١٦٩- ١٧٠.

(١٠) ينظر: تاريخ الأدب العربي (أحمد حسن الزيات) : ١١٣.

(١١) ينظر: الأحداث العسكرية في حضر موت خلال العصر الأموي :٧٠، وينظر: تاريخ الدولة العربية الإسلامية عصر ما قبل الإسلام والنبوة وخلافة الراشدين والأمويين : ٣٢٩.

(١٢) ينظر أدب السياسة في العصر الأموي : ٢٠.

(١٣)) ينظر: تاريخ الأدب العربي (أحمد حسن الزيات) : ١١٣.

(١٤) ينظر الهجاء والهجاؤون في الإسلام : ١٥- ١٦، وينظر: أثر الإسلام في شعر النقائض (رسالة ماجستير) : ٤.

(١٥)) ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي : ٤١،وينظر : اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٤٦.

(١٦) ينظر: الأخطل الكبير حَيَاته وشخصيته وقيمتهُ الفنّية : ٢٥-٢٦.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٨-١٨٩.

(١٨) ينظر : دراسات في النص الشعري (عصر صدر الإسلام وبني أميّة) : ٢١٠.

(١٩) ينظر: الأخطل الكبير حَيَاته وشخصيَته وقيمتهُ الفنّية : ٢٢٠-٢٢١.

(٢٠) المكان نفسه.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٣-٢٢٥.

(١٦)

(٢٢) ينظر: دراسات في النص الشعري(عصر صدر الإسلام وبني أميّة) : ٢٠١.

(٢٣) ديوانه : ٣٦٦-٣٦٧، مارَسَرْجيس: شفيع بني تغلب وكانت تحمل علمه في القتـــال ، طيْساً: الكثير والوفير

(٢٤) ينظر : المجاز في شعر الأخطل (رسالة ماجستير) : ٤-٥ .

(٢٥) ينظر: المكان نفسه .

(٢٦) ينظر: الأخطل الكبير حَيَاته وشخصيَته وقيمتهُ الفنّية :٢٥٤.

(٢٧) ينظر : المجاز في شعر الأخطل (رسالة ماجستير) : ٤ .

(٢٨) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٦١.

(٢٩) ينظر: ديوانه : ٦.

(٣٠) ديوانه :٨٥.

(٣١) المجاز في شعر الأخطل (رسالة ماجستير): ٥.

(٣٢) ينظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية : ١٨٩.

(٣٣) ديوانه : ٤٨٦، العيرِ، بالكسر : هي الأبل التي تحمل الميرة والميرة الطعـــام يجمـــع للسفر وغيره *ينظر: مختار الصحاح :٢٩٠.

(٣٤) ينظر: ديوانه : ٦.

(٣٥) ينظر : تاريخ النقائض : ٤٠٣، ينظر: أثر الإسلام في شعر جرير بن عطية الخطفي :١٢٠.

(٣٦) ينظر : دراسات في النص الشعري (عصر صدر الإسلام وبني أميّة) : ٢١٠.

(٣٧) ديوانه : ٧٨، خف : أسرع الرحيل ، القطين : القوم الذين يسكنون الجوار .

(٣٨) ينظر: ديوانه : ٥٠٢.

(٣٩) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي (شوقي ضيف) : ٢٦٤.

(٤٠) ديوانه : ٥١٥.

(٤١) المصدر نفسه : ٥٢٢.

(٤٢) المصدر نفسه : ٩٢، حاجلة : الغائرة ، الصلود : الذي يؤدي ناراً.

(٤٣) المصدر نفسه : ١٨٢.

(٤٤) المصدر نفسه : ٨٦.

(٤٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي ،العصر الإسلامي (شوقي ضيف): ٢٥٩-٢٦٠.

(١٧)

(٤٦) ديوانه :٨٤.

(٤٧) المصدر نفسه: ٥١٣.

(٤٨) ديوانه : ٨٨.

(٤٩) المصدر نفسه :٧٠، نقائض جرير والأخطل : ٢٨.

(٥٠) ديوانه : ٢٣٤.

(٥١) ينظر : الموجز في الأدب العربي : ٥٥٩.

(٥٢) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٦٣.

(٥٣) ديوانه : ٧١.

(٥٤) المصدر نفسه : ٢٠٥، الأعصب : هو الذي كسر أحد قرنيه.

(٥٥) المصدر نفسه : ٢٦٠.

(٥٦) المصدر نفسه : ٨٧.

(٥٧) المصدر نفسه : ٥٢٧.

(٥٨) المصدر نفسه : ٣٥٩، القرقور : السفينة .

(٥٩) ديوانه : ٢٣٩، الحَوارك ، جمع الحارك ، وهو أعلى الكتف الشامخ ، لجيم : هو لجيم بن مصعب من بني تغلب ، المسامك: وهو سقف البيت ويقصد به الخيمة.

(٦٠) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي (شوقي ضيف): ٣٤.

(٦١) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (طه حسين) : ٣٥.

(٦٢) ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٢٦٤.

(٦٣) ديوانه : ٦-٧.

المصادر والمراجع

- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين هادي، مطبعة المدني،القاهرة ،١٩٨٦م.
- الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمته، فخر الدين قباوة، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١م.

• أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد محمد الحوفي، د.ط، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.
• .الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، د. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨ م.
• الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، أشرفت على تصحيحه لجنة من الأدباء والمدرسين، منشورات دار الحياة، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م.
• تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، د. شوقي ضيف، ط١، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٣م.
• تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، النهضة، القاهرة، د.ت .
• تاريخ الدولة الإسلامية (عصر ما قبل الإسلام والنبوة وخلافة الراشدين والأمويين)، أ.د رشيد عبد الله الجميلي، ط٢، مطبعة بغداد، ١٩٨٦م.
• تاريخ النقائض في الشعر العربي،أحمد الشايب، ط١، مكتبة النهضة العربية،القاهرة،١٩٥٤ م.
• التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م
• دراسات في النص الشعري (عصر صدر الإسلام وبني أمية)، د. عبدة بدوي، ط١، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م.
• ديوان الأخطل، شرح راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
• طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح:محمود محمد شاكر، ط٢، مطبعة المدني، مصر، ١٩٨٠م.
• الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د.طه حسين ،ط١، دار المعارف ، مصر ،١٩٤٣.
• الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ط٦، دار المعارف، مصر، د.ت.
• مختار الصحاح ، تأليف الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، قراءة وضبط وشرح د.محمد نبيل الطريفي ، ط١، دار صادر، بيروت ،٢٠٠٨م.
• الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب العربي القديم)، حنا الفاخوري ، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م
• نقائض جرير والأخطل، للأمام أبو تمام، تعليق الأب انطوان صالحاني اليسوعي، ط٢، دار الكتب العلمية، المطبعة الكاثوليكية للآدباء اليسوعيين.

- الهجاء والهجاؤون في الإسلام، د.محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.

الأطاريح والرسائل الجامعية :

١- أثر الإسلام في شعر جريربن عطية الخطفي ،خالد محمودمحمدعزامّ، ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم جامعة آل البيت ، ١٩٩٩م

٢- أثر الإسلام في شعر النقائض،ميادة محمد عبد اللطيف ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ،جامعة ديالى، ٢٠٠٨م

٣- المجاز في شعر الأخطل ، فهمي سفيان عبد الله ، رسالة ماجستير ،جمهورية السودان ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠١١م.

بحث مستل من الدوريات :

.الأحداث العسكرية في حضرموت خلال العصر الأموي، أ.د خضير نعمة هادي،مجلة الفتح، ع٢٥، ٢٠٠٦م.